﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

الإتحاف بالجواب يزيل العَجَب

لمّا بيّنتِ الآية السّابقة أنّ مريم عليها السلام أبدت تعجّبَها مِن تبشيرها بغلامٍ وهي بذلك الحال، جاءت هذه الآية بجواب جبريل عليه السلام لرَدّ عَجَبِها، وتبيينِ الأمرِ لها، فقال المَلَك مُجيبًا لها عمّا سألت: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿هَيِّنٌ﴾: (هون) أصلٌ يَدُلُّ على سُكونٍ أَوْ سَكينَةٍ أَوْ ذُلٍّ، مِنْ ذَلِكَ الهَوْن: السَّكينَةُ والوَقارُ، قالَ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 63][2]، والهَوْنُ: مصدر هان عليه الشّيء، أي: خفَّ، وهَوَّنَهُ اللّه عليه، أي: سهّله وخفّفه، وشيءٌ هيّنٌ، على وزن فيعل، أي: سهلٌ[3]، ويقال: هانَ الأمرُ على فلان: سَهُل، قال اللّه تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27]، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ [النور: 15][4].

2) ﴿مَّقْضِيًّا﴾: (قضى) أَصْلٌ يَدُلُّ على إِحْكامِ أَمرٍ وإِتْقانِه وإِنْفاذِه لجِهَتِه: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 12]، أي: أَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ، والقَضاءُ: الحُكْمُ، ولِذَلِكَ سُمّيَ القاضي قاضيًا، لأَنَّهُ يُحْكِمُ الأَحْكامَ ويُنْفِذُها[5]، القَضاءُ: فَصْلُ الأمرِ قولًا كان ذلك أو

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 16/ 42.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هون).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (هون).
(4) الرّاغب، المفردات: (هان).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قضي).

فعلًا، ﴿*وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23] أي: أمر بذلك، وقال: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: 4] فهذا قَضاءٌ بالإعلام والفصل في الحُكْم، أي: أعلمناهم وأوحينا إليهم وحيًا جَزمًا، وقوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾ [مريم: 71]، ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ [البقرة: 210] أي: فُصِل، تنبيهًا أنّه صار بحيثُ لا يمكن تلافيه[1]، والمراد به في قوله جلّ شأنه: ﴿وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ أي: "كان خَلْقُه أمرًا محكومًا به، مَفروغًا منه، سابقًا في عِلْم الله أن يقع"[2].

❁ المَعْنى الإجماليُّ:

جواب الملَك أزال أسبابَ التّعَجّبِ

بيّنت هذه الآيةُ أنّ جبريل عليه السلام قال لها مجيبًا عن سؤالها: هكذا الأمر كما تصفين، مِن أنّك لم يمسسكِ بشرٌ، ولم تكوني بغيًّا، ولكنّ ربّك قال: إنّ خَلْقَ الغلامِ الذي سأهَبُهُ لكِ هيّنٌ، لا يتعذّر عليّ خَلْقُه، وهِبَتُه لكِ مِن غير أبٍ، كي نجعلَه علامةً وحُجّةً على خَلْقي، ورحمةً منّا لكِ، ولِمَن آمنَ به وصَدّقَه، وكان خَلْقُه منكِ أمرًا قد قضاه اللّهُ، ومضى في حُكْمِه وسابق عِلْمِه أنّه كائنٌ منكِ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة فضل هذه الآية عمّا قبلَها:

الجواب في المحاورة أزال ما وقع مِنَ التّعجّب

فصل النّظمُ الكريم الجملةَ في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ﴾ عمّا قبلَها؛ لأنّها مستأنفةٌ جيء بها ليُقَرِّر المَلَك مقالتَه التي قالها، وتحقيقًا لها، أي: الأمر كذلك، وكما قلتُ لك[4]، فعَدلَ عن إبطال مقالتِها إلى بيان هَوْن هذا الأمرِ على الله تعالى؛ تأكيدًا لوقوعه، وأنّه بحيثُ لا تنفع المدافعةُ، ويجب الإذعانُ والتّسليمُ.

(1) الرّاغب، المفردات: (قضى).
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 217.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 165.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 261.

سِرُّ التّعبير باسم الإشارة ﴿كَذَٰلِكِ﴾:

ما يستغربه العِباد ويستعظمونه هو يسيرٌ هيّنٌ عند المولى الجليل

عبّر النّظمُ الجليل باسم الإشارة ﴿كَذَٰلِكِ﴾ المُصَدّر بحرف التّشبيه دون (هذا) في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ﴾؛ للدّلالة على فخامة هذا الحَدَث الخارقِ للعادَة، وعُلوّ قَدْرِه لجَمعِه لحالتين؛ حالةِ القُدْرةِ الإلَهيّة في خَرْق نواميس الإنجاب التي تختلف عن كلّ ما عداها في إنجاب البشر، وحالةِ البشريّة التي تختلف عن نظائرها في إنجاب البشر، وللدّلالة على أنّ المَلَك أراد موافقتَها على قولها، وبيانَ أنّ الأمر كما قُلتِ أنتِ على وجه التّمام مِنَ المُشابهة، فاقتضى ذلك إدخالَ حرفِ التّشبيه على اسم الإشارة، "وجوابُ المَلَك معناه: أنّ الأمر كما قلتِ، نظير قوله في قِصّة زكريا: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، وهو عدولٌ عن إبطال مُرادها مِنَ المراجعة إلى بيان هَوْن هذا الخَلْق في جانب القُدْرة"[1].

سِرُّ فصْلِ جملة: ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾:

خَرْقُ نواميس الكون هَيّنٌ على الله تعالى

فصلَ النّظم الجليلُ الجملة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ لأنّها مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، فهي جوابٌ لسؤالٍ نشأ عن لسان الحال، كأنّه يقول: كيف يكون بغير سبب؟ فجيء بالجملة جوابًا عن ذلك[2]، وأفاد هذا الاستئنافُ تقريرَ ما في الاستئناف الأوّل من بيان.

عِلّةُ إيثارِ التّعبيرِ بالرّبوبيّة:

الإحالةُ على لطائف الرّبّ في سياق السّورة

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ الرّبوبيّة دونَ الأُلوهيّة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ لأنّ السّورة قد بُنيَت على الرّحمة واللّطف والإحسان بعباد الرّحمن، وكَثُر فيها ذلك، وقد صُدّرت بلفظ الرّبّ في أوّلها، فكان التّعبيرُ باسم الرّبّ إحالةً على تلك البداية وتلك الصّور[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 83.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 186.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 186.

ولم يُعَبّر بلفظ الجلالة (اللّه) كما في سورة آل عمران بقوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ [آل عمران: 47]؛ لأنّ سورة آل عمران مَبنيّةٌ على تأصيل أمر التّوحيد؛ فناسبَ التّعبيرَ بلفظ الألوهيّة، ويُؤكّد ذلك تكرارُ التّعبير بلفظ الجلالة في قصّة مريم عليها السلام، من ذلك قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا﴾ [آل عمران: 33] الآية، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ﴾ [آل عمران: 45] الآية، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ﴾ [آل عمران: 51].

سِرُّ إيثار التّعبيرِ بالاسميّة في: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ عن سُهولة خَلْقِ هذا الغلام بالجُملة الاسميّة في قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾؛ تأكيدًا لمضمونها، وتقويةً للإخبار بها، فالإخبارُ بكونه هيّنًا سهلًا على اللّه تعالى مؤكّد، لما لها مِن دلالةٍ على الثّبوت، فسُهولةُ الخَلْق على اللّه تعالى بأيّ شكل مِنَ الأشكال حقيقة ثابتةٌ لا تنتقض بمَرّ الزّمان.

قدرةُ الله تعالى على الإيجاد والخَلْق حقيقةٌ راسخةٌ ثابتة

دلالةُ التّعبيرِ بضمير: ﴿هُوَ﴾:

عبّر النّظم الجليل بالضّمير الغائب ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾؛ تعبيرًا عن الحال الذي وقع التّعجّبُ منه، وهو إيجادُ الغلام على هذه الهيئة مِن خُلوّ الأبِ، وانتفاءِ النّكاح والبِغاء[1]، أي: "ما ذكرتُ لكَ مِن هِبَة الغُلام مِن غير أن يمسَّكِ بشرٌ أصلاً"[2].

الدّلالةُ على تخصيصه بالخَلْق تأكيدٌ للحُكم وإبطالٌ للاستغراب والاستعجاب

سِرّ التخصيص بـ: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾:

خَصّصَ القرآنُ الكريم خَلْقَ عيسى عليه السلام بكونه هيِّنًا على اللّه، مع أنّ كلّ شيءٍ هيِّنٌ على اللّه تعالى، لما أنّ التّعجّب وقع منه، فكان تخصيصُه بحُكم السّهولة تأكيدًا للحُكم، ونقضًا للاستغراب.

إزالةً للاستغراب الواقع، وتأكيدًا لسهولة الخَلْق بدون أسباب

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 186.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 261.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿عَلَيَّ﴾:

أمرُ عيسى عظيمٌ جليلٌ، ولكنّه تحتَ قُدرةِ الله سهلٌ يسير

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الاستعلاء (على) المضاف إلى ضمير المُتكلّم العائدِ على الله تعالى ذِكْرُه، في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ للدّلالة على أنّه هيِّنٌ على الله تعالى وحْده، فلا أحدَ غيرُه قادرٌ عليه[1]، وأفاد الاستعلاءُ تأكيدَ كونِ هذا الفعل مُتّصفًا بالسّهولة على الله تعالى، كما أنّه يُشير إلى إقرار التّعجّب منه مِنَ النّاس.

سِرُّ التّعبير بـ ﴿هَيِّنٌ﴾:

خَلْقُ الشّيء بسببٍ وبغير سببٍ هيّنٌ على الله تعالى

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ ﴿هَيِّنٌ﴾ دون (سهل) في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ لأنّ السّهل أصلُه يَدُلُّ على لينٍ وخِلافِ حُزونَة[2]، فالسَّهْلُ: نَقيضُ الحَزْن، والسَّهْلُ كُلُّ شَيْءٍ يميل إلى اللّين وقِلّة الخُشونَة[3]، أمّا الهيّنُ فأصلُه يَدُلُّ على سُكونٍ أَوْ سَكينَةٍ أَوْ ذُلٍّ، مِنْ ذَلِكَ الهَوْنُ: السَّكينَةُ والوَقارُ[4]، هان عليه الشّيء، أي: خَفَّ، وهَوَّنَهُ الله عليه، أي: سهّلَه وخفّفه[5]، فالتّعبيرُ بلفظ الهَون أدلّ على خِفّة تكلفة الشّيء، دون السّهولة الدّالّة على اللّين وقلّة الخشونة، وذلك جريًا على خطاب العرب بما يُدَلّل على سهولة أمر إيجاد عيسى، وإلّا فالأمرُ عند الله تعالى بين الكاف والنّون.

دلالة الواو في: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾:

كرامةُ الله تعالى موصولةٌ لمريمَ ولوليدها

عطفَ النّظمُ الجليل قولَه تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ على مُقَدّرٍ، تقديرُه: لنبيّنَ به قدرتَنا، ولنجعلَه آيةً للنّاس، وعلى هذا تكون الواو من باب عطف العِلّة على العِلّة، ويجوز أن يكون مِن

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 186.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سهل).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (سهل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هون).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (هون).

باب عطف المعلول على المعلول، عطف الخاصِّ على العامِّ، والمعنى: نَهبُ الغلامَ من غير أبٍ، ونفعلُ ذلك لنجعلَه آية[1].

سرُّ التّعبير بالجملة الفعليّة في جَعْله آيةً:

الاستدلال به مكرّرٌ حاصلٌ بأمر الله تعالى

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالجملة الفعليّة في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾، دون التّعبير بالاسميّة كما في قوله: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ للدّلالة على التّغاير بينَ الجُملتين في التّركيب، ولإفادة الدّلالة على دوام الهَون وإزالةِ التّعجُّب والاستبعاد، وللدّلالة على تجدّد هذه الآية[2]، ولأنّ جَعْلَه آيةً يتّصف بالتّكرار، فيحصل به الاستدلال على كمال قُدْرة الله تعالى على الإيجاد في مناسباتٍ عديدة، وإشارةً إلى أنّ كونَه آيةً إنّما كان بفعل الله تعالى وإرادته، فهو جَعله كذلك، فالعَجَبُ في قصّته والغرابةُ حاصلةٌ بفِعْل الله تعالى، وليست هي صفةً ذاتيّةً فيه، فالله تعالى جعله "بُرهانًا يستدلّون به على كمال قُدرة بارئهم وخالقِهم الذي نوّع خَلْقَهم، فخلق أباهم آدمَ مِن غير ذَكَرٍ ولا أُنثى، وخلق حواءَ مِن ذَكَرٍ بلا أُنثى، وخلق بقيّة الذّرّيّة مِن ذَكَر وأنثى، إلّا عيسى فإنّه أوجده مِن أُنثى بلا ذَكَر، فتمّت القِسْمَةُ الرّباعيّة الدّالّة على كمال قدرته، وعظيم سلطانه"[3].

دلالة التّعبير باللّام في: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥ﴾:

لا تخلو هباتُ الجليلِ من عظيم الحِكَم

أدخل النّظمُ الجليل لامَ التّعليلِ على الفعل في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّاۚ﴾؛ لبيان عِلّة هذه الهبة، أي "ولنجعلَ وهْبَ الغلامِ آيةً لهم وبرهانًا، يستدلّون به على كمال قُدرتِنا نفعل ذلك"[4]، فليستِ الهبةُ والإكرام بهذا الغلام خاليةً مِن

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 211.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 212.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 90.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 261.

عظيم الحِكَم، بل هي إنّما حصلت إظهارًا للحَقّ، واستدلالًا على القُدرة والحِكمة، وتسجيلًا لرحمته تعالى.

بلاغةُ الالتفاتِ مِنَ الغَيبة إلى التّكلّم:

الخطابُ بصيغة التّعظيمِ أنسبُ لبيان كمالِ القُدرة

التفتَ النّظمُ الجليل مِنَ الغَيبة إلى التّكلّم في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ﴾، فلم يقل: (وليجعله)؛ فعدلَ مِنَ الغَيبة إلى التّكلّم بنون العَظَمة؛ إظهارًا لكمال قُدرته ﷻ[1]، فإنّ جَعْلَ الغلام هو آيةٌ عظيمة، وهي كائنةٌ بما لله تعالى مِن عَظَمةٍ؛ تفخيمًا لشأن هذا الغلام، فخَلْقُ عيسى هو مِن آيات الله تعالى الجليلة، فكان التّنويهُ على ذلك بصيغة التّعظيم.

دلالة التّعبير بـ ﴿ءَايَةً﴾:

هبةُ الغلام على هذه الهيئة دليلٌ على قدرة الإحياء والبعث

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ الآية دون المعجزة في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾؛ لأنّ المراد كونُ ذلك علامةً ودليلًا على كمال قدرة الله على البعث وإعادة الخَلْق؛ لأنّ مَن قَدَر على إنشاء الولد بلا أبٍ قادرٌ على الإحياء بعد الموت؛ فأَمرُ عيسى علامةٌ على كمال قدرة الله تعالى على البعث[2]، وليس المرادُ التّحدّي والإعجازَ؛ لذلك لم يُعبّر بالمعجزة.

دلالة التّنكير في ﴿ءَايَةً﴾:

كثرةُ الآيات في شأن عيسى عليه السلام

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ عنِ الآية بصيغة التّنكير في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ تعظيمًا لها، وتفخيمًا لشأنها، وذلك لتَعدّد الآياتِ فيها؛ فخَلْقُه بلا أبٍ آيةٌ، وكلامُه للنّاس في المَهْد آيةٌ، إلى غير ذلك ممّا هو مَطْوِيٌّ في شأن عيسى عليه السلام.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 261.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 186.

دلالةُ التّعبير بقوله: ﴿لِّلنَّاسِ﴾:

خَلْقُ عيسى بلا أبٍ آيةٌ للنّاس على وقوع البعث

قيّد النّظمُ الجليلُ آيةَ خَلْقِ عيسى ﷺ بأنّها كائنةٌ للنّاس في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾، والمراد بالنّاس: عمومُ النّاس أو قومها، أي: أنعمنا به عليكِ وعلى "النّاس بالهداية والدّعاء إلى عبادة الله وتوحيده، فيهتدون بهديه، ويسترشِدون بإرشاده"[1]، فهو تنويهٌ بأنّه قد روعيَ في خَلْقه شأنُ النّاسِ مِن أوّل الأمر، وأنّها آيةٌ جيء بها بحيثُ يقع بها الاعتبار، فهي صالحةٌ لأن يُهتَدَى بها؛ لكونها ممّا يَحْكُم العقلُ بأنّها خارقةٌ، لا يمكن أن تكون إلّا مِن خالقٍ مُقْتَدِرٍ على البعث والإيجاد.

دلالةُ وصفِ عيسى ﷺ بالرّحمة:

لهدايته إلى الحَقّ ودلالته عليه

وصف القرآنُ عيسى ﷺ بالرّحمة في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾؛ لأنّ الله تعالى جعلَه رحمةً للعِباد يهتدون بإرشاده، ولكونه هاديًا إلى الحَقّ ودليلًا عليه؛ فمنِ اهتدى به وتَبِعَه كان ذلك نجاةً له.

دلالة التّنكير في: ﴿رَحْمَةً﴾:

تعظيم شأنِها، وعُلوّ قَدْرِها

دلّ تنكيرُ لفظ ﴿رَحْمَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ على تعظيم الرّحمة؛ لأنّها لمّا كانت شاملةً للنّاس، فلا بدّ أن تكون جليلةَ القَدْر، عظيمةَ الأثرِ، ولأنّ المُنتَفِعَ بهذه الرّحمةِ كثيرٌ مِنَ النّاس، فهو ﷺ "طريقُ هدًى لعالَمٍ كثيرٍ، فينالون الرّحمة بذلك"[2].

دلالةُ التّعبير بـ: ﴿مِّنَّا﴾:

تعظُمُ المعاني على قدر جهةِ صدورها

قيّد النّظمُ الجليل الرّحمةَ بشِبه الجملة ﴿مِّنَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾؛ للدّلالة على أنّها رحمةٌ عظيمةٌ

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 90.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 9.

كائنةٌ مِنَ اللّه تعالى[1]، وفي ذلك مِنَ التّفخيم لها ما لا يَخْفَى، فهي رحمةٌ صادرةٌ مِنَ الرّحمن، فتكون على الغاية القصوى مِنَ الخير والبَركة، فهي ليست رحمةً مطلقةً، بل مُقيّدةً بجهة صدورها؛ تفخيمًا لها، وتعظيمًا لشأنها.

دلالة الواوِ في: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾:

قطعُ المحاورةِ بإيراد الأمر الحتميّ

صدّر النّظمُ الجليل الجملةَ بالواوِ الدّالّة على الاستئناف في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾، فالجملةُ مستأنَفَة[2]، والغرضُ منه: قطعُ المحاورةِ بشأنه بعد أن بيّن الغرضَ مِن خَلْقه وإيجاده، فأَمرُه قد "قُدّرَ وسُطّر في اللّوح، لا بدّ مِن جريانه عليك"[3].

سِرُّ التّعبيرِ بالأمر في: ﴿وَكَانَ أَمْرًا﴾:

شمولُه لكلّ أحداث القِصّة

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ الأمر في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾؛ للدّلالة على خَلْق عيسى عليه السلام وإيجادِه، و(الأمر) هنا واحد الأمور، وليس بمصدر أَمَرَ يَأْمُر[4]، فالتّعبير عنِ الهبة وخَلْقِ عيسى عليه السلام بأنّه (أَمرٌ) يدُلّ على أنّ الحالة بعمومها قد قضى اللّهُ تعالى بها، لا بعيسى وحسب، وهذا يتناول شأنَ مريم وحالتَها وما يتبع ذلك، وعيسى وما يتبعه.

دلالةُ التّنكير في: ﴿أَمْرًا﴾:

إفادة العموم والشّمول لأحوال عيسى عليه السلام

دَلّ التّنكيرُ في قوله تعالى: ﴿أَمْرًا﴾ على إفادة العموم والشّمول لأحوال عيسى عليه السلام، مِن أوّل أمر الهبة مُرورًا بالحَمل والنّطق وما أجراه اللّهُ على يديه مِن معجزات.

بلاغة التّذييل في: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾:

ذيّل النّظمُ الجليل الآيةَ الكريمة بالعبارة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 261.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 285.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 261.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 10.

﴿أَمۡرًا مَّقۡضِيًّا﴾، وهو مِن "تتمّة كلام جبريلَ لمريمَ، يُخْبِرها أنّ هذا أمرٌ مُقَدّر في عِلْم الله تعالى وقَدَرِه ومَشيئتِه"[1]، فهو إحالةُ الأمر إلى كونه قَدَرًا قد قُضيَ وحُكِمَ به، فلا سبيلَ لردّه ولا للمنازعة بشأنه، حثًّا لها على الامتثال والشّروع في الاستقبال؛ لأنّ مريم عليها السلام بَدأ أمرُها بالاستغراب والاستعجاب؛ فسألت عن كيفيّة حدوث ذلك، فكان التّذييل مناسبًا للتّعبير عن كمال قدرته سبحانه المطلقة، وأنّ ذلك الخَلْق أمرٌ مُقَدَّرٌ أزلًا، ولا رادَّ لما أرادَه الله.

يَحكُم اللهُ تعالى، ولا رادَّ لحُكْمه

❁ الفروق المعجميّة:

الآية والمُعجِزة:

الآية العلامة، يقول: ائتني بآية كذا، أي: بعلامة، ومنه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ﴾ [آل عمران: 41]، وهي العلامَةُ الظّاهرة[2]، أمّا المعجزةُ فأصلُها يَدُلّ على الضَّعْف[3]، والعَجْزُ: ضِدّ القُدرة، قال تعالى: ﴿أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ﴾ [المائدة: 31][4]، والمُعجِزَة: واحدة مُعجِزات الأنبياء[5]، فهي تُعْجِز مَن يعارضُهم[6]، فآثَرَ في الآية الكريمة التّعبيرَ بلفظ الآية لأنّه أراد معنى العلامَةِ الدّالّة على قُدرة الله تعالى، لا العلامةِ الدّالّة على الإعجاز.

الآيةُ العلامَةُ الظّاهرةُ، والمعجزة خارقةٌ لا تُعارَضُ

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 7/ 90.
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (أبي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عجز).
(4) الرّاغب، المفردات: (عجز).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (عجز).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (عجز).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»